شعراء النصرانية بعد الاسلام

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٧ الزِّبرِقان بن بَدر

هو الحُصَين بن بَدر بن امرئ القيس بن خلف بن بَهْدلة بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم. والزِّبرقان لقبٌ ومعناهُ القمر سُمّي بهِ لجمالهِ ودُعي لذلك بقمر نَجد. وقال الشُّهَيلي «بل سُمّي بالزبرقان لانهُ كان يُرفع لهُ بيت من عمائم وثياب ويُنضح بالزعفران والطيب وكانت بنو عامر تحجُّهُ». وقال قوم: انما سُمّي بالزبرقان لحُمَّة لحيتهِ. وقال غيرهم لانهُ كان يصبغ عمامتهُ بالزَّعفران وكانت سادة العرب تفعل ذلك (الاشتقاق لابن دريد ١٥٥—١٥٦). وكان الزبرقان يُكنّى ابا العبّاس وكان لهُ بنون العبّاس وشدرة وعيّاش وبنات كُنّي بهم وكانت ابنتهُ بَكرة ابنة هُنَيْدة بنت صعصعة بن ناجية تزوّجها الحكَم بن عثمان بن ابي العاص وهي امّ يزيد بن الحكم قيل انّها اوّل عربيّة ركبت البحر فأُخرج بها الى الحكَم وهو يتوجّع (الاغاني ١١: ١٠٠). وكانت بعض قبائل العرب تتفاخر بالزبرقان وتنسبهُ الى قومها. فقيل لهُ: انك من بني عامر ذي المَجاسد وكان سيّدهم وصاحب مِرباعهم فقال (من الطويل):

إنْ أكُ من كعب بن سَعدٍ فانني ... رَضيتُ بهم من حيِّ صِدقٍ ووالدِ
وانْ يكُ من كعبِ بن يَشكُرَ منصبي ... فانَّ ابانا عامرٌ ذو المَجاسدِ

وكان الزبرقان من نصارى تميم والدليل عليهِ قولهُ لمحمّد يفتخر بقومهِ تميم وبتشييدهم للبيَع (الطبري ١: ١٧١٢ سيرة ابن هشام ٩٣٥):

نحنُ الكرامُ فلا حيٌّ يعادلنا منّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البِيَعُ

وذلك انهُ وفد على رسول الاسلام السنة التاسعة للهجرة مع بني تميم وهم على ما روى صاحب الاغاني (٤ : ٨–١٠) سبعون او ثمانون رجلًا فيهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعُطارد بن حاجب وقيس بن عاصم وعمرو بن الاهتم فقدموا المدينة ودخلوا المسجد فوقفوا عند الحجرات فنادوا بصوتٍ عالٍ جافٍّ: «اخرُج الينا يا محمّد فقد جئنا لنفاخرك وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا». ثمَّ ذكر هناك ما دار بينهم من الخطب ثمَّ قالوا: يا محمّد ائذَنْ لشاعرنا. فقال: نعم. فقام الزبرقان وقال:

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يُعادلنا منّا الملوكُ وفينا تُنصَبُ البِيَعُ (١
تلك المكارمُ حُزناها مُقارَعةً اذا الكرامُ على أمثالها اقتَرَعوا
كم قد نَشَدْنا من الأحياء كلِّهم عند النِّهاب وفضلُ العزّ يُتَّبعُ (٢
وننحَرُ الكُوم عَبْطاً في أرُومتنا للنازلين اذا ما استطعموا شبِعوا (٣
ونحن نُطعم عند القَحْط مَطْعمنا من العَبيط اذا لم يَظهر القَرَعُ (٤
وننصُرُ الناسَ تأتينا سَراتُهُمُ من كلّ أوْبٍ فنمضي ثمَّ تتَّبعُ (٥
فلا ترانا الى حيٍّ نُفاخرهم الّا استقادوا وكاد الرأس يُقتطَعُ (٦
فمن يفاخرُنا في ذاك نعرفُهُ فيرجعُ القومُ والاخبارُ تُستَمَعُ (٧

١) وروى في الاغاني :
نحنُ الملوكُ فلا حيٌّ يقاربنا منّا الملوك وفينا يؤخذ الرّبعُ
ويروى : فينا تُنصَبُ الرّبعُ
٢) ويروى : وكم قسرنا ٣) ويروى : غَبْطاً في منازلنا . . اذا ما أُنزلوا
٤) ويروى : عند المحل ما أكلوا من الشواء اذا لم يؤنس القَزَعُ . ويروى : القَرَع والقَزَع ٥) ويروى : بما ترى الناس . . من كلّ ارض هوياً ثمّ نصطنعُ . ويروى : ثمّ ترى . . . هوانا شَبَعُ ٦) ويروى : فكانوا الرأس ٧) ويروى : فمن يقادرنا في ذاك يعرفنا فيرجع القولُ . . .

اذا أَبَيْنا فلا يأبى لنا احدٌ انّا كذلك عند الفخر نرتفعُ (١

وروى لهُ ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٩٣٧) قولهُ يخاطب محمّداً ورواهُ في الاغاني لعطارد بن حاجب ولعلّهُ اصحّ (طويل) :

اتيناك كيما يعلَم الناسُ فضلَنا اذا اختلفوا عند احتضارِ المواسمِ (٢
بأنّا فروعُ الناس في كلّ موطنٍ وأنْ ليس في ارض الحجازِ كدارمِ

ثم رووا هناك ما ردّ بهِ عليهِ حسّان بن ثابت . وزعموا انّ الوفد أسلموا ومنهم الزبرقان وانّ نبيّ الاسلام استعملهُ على صدقة قومهِ بني تميم . قال ابن سعد في طبقاتهِ (٧ : ٢٤) : « فقُبض رسول الله صلعم وهو عليها وارتدّت العرب ومنعوا الصدقة وثبت الزبرقان بن بدر على الاسلام واخذ الصدقة من قومهِ فأدّاها الى ابي بكر الصدّيق وكان ينزل ارض بني تميم ببادية البصرة وكان ينزل البصرة كثيراً »

وقال ابن سلّام الجُمحيّ في كتاب طبقات الشعراء (ص ٢٥) : «وكان الزبرقان شاعراً مفلقاً» ثم ذكر تحامُل بني قريع عليهِ وحَملهم الحُطَيئة على هجائهِ وهجاهُ البَعيث والمخبَّل السعديّ . قال ابن سلّام : «وكان الزبرقان يعاتبهم ولم يكن يهجوهم وكان حليماً » وكان سبق فأضاف الحطيئةَ وجعلهُ في جوارهِ في سنة مجدبة واوصى امرأتهُ باكرامهِ فصدر منها يوماً جفوةٌ فسعى بنو بغيض فجذبوهُ حتى هجا الزبرقان فاستعدى عليهِ عمرَ بن الخطّاب فحبسهُ عمر ثمّ استتدمهُ واطلق سبيلهُ (الاغاني ٢ : ٥٢—٥٥)

ومما يدلُّ على تردّد الزبرقان في اسلامهِ ما ذكرهُ الطبري (٣ : ١٩١٩) انهُ هو وعطارد بن حاجب ونظراءهم بعد وفاة نبيّ المسلمين ارتدّوا وتبعوا مُسيلمة بن حبيب وسجاع التغلبيّة ثم عادوا بعد قتل مسيلمة الى اسلامهم . وذكر في الاغاني (١٢ : ١٥٢) غدر الزبرقان بقيس بن عاصم وكان كلاهما متولّياً صدقات قومهِ فلمّا توفي محمّد « دسّ الزبرقان الى قيس مَنْ زيّن لهُ المنع لما في يدهِ وخدعهُ بذلك وقال لهُ : انّ النبيّ صلعم قد توفّي فهلمّ نجمع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا فان استقام الامر

(١) ويروى : انّا ابينا ولا . . . عند الفجر
(٢) ويروى : اذا اجتمعوا وقت

لابي بكر وادّت العرب اليه الزكاة جمعا لـهُ الثانية ، ففرّق قيس الابل في قومه وانطلق الزبرقان الى ابي بكرٍ بسمانة بعير فادّاها اليه وقال في ذلك (الطبري ١ : ١٩٦٤ ، من الطويل) :

وفيتُ بأذوادِ الرسولِ وقد أبتْ ... سُعادُ فلم يردُدْ بعيرًا بُجيرُها (١

معاً ومَتَعْناها من الناس كلّهم ... تَرامي الاعادي عندنا ما يَضيرُها

فأدّيتُها كي لا أخونَ بذمّتي ... مَحانيقَ لم تُدرَس لرَكْبٍ ظُهورُها(٢

اردتُ بها التقوى ومجدَ حديثِها ... اذا عُصبةٌ سامَى قَبيلي فخورُها(٣

واني لمن حيٍّ اذا عُدَّ سَعْيُهم ... يرى الفخرَ منها حيُّها وقبورُها(٤

اصاغِرُهم لم يَضرعوا وكبارُهم ... رِزانٌ مَراسيها عِفافٌ صُدورُها(٥

ومن رَهْط كنّادٍ توفّيتُ ذمّتي ... ولم يَثْنِ سيفي ذَبْحُها وهَريرُها(٦

وقُبّةِ مَلْك قد دخلتُ وفارسٍ ... طعنتُ اذا ما الخيلُ شدَّ مُغيرُها(٧

ففرّجتُ أُولاها بنَجلاءَ ثَرّةٍ ... بحيثُ الذي يَرْجو الحياةَ يضيرُها(٨

ومَشهدِ صِدْقٍ قد شهدتُ فلم اكنْ ... به خاملًا واليومَ يُثني مَصيرُها

ارى رهبةَ الأعداء مني جَراءةً ... ويبكي اذا ما النفسُ يوحي ضميرُها

قال ابو الفرج فلمّا عرف قيس ما كادهُ به الزبرقان قال : لو عاهد الزبرقان امّهُ لغَدَر بها . فنشب الشرّ لذلك بين الاحياء .

وجاء في التبريزي في شرح الحماسة (ص ٦٦٦) وفي الاغاني (١٢ : ٤٤) وفي

---

١) ويروى : بأذواد النبيّ محمدٍ وقد اتت سعادُ ٢) إبل محانيق سمان . ويروى : محانيق لم يُدرس ٣) ويروى : اذا عصبةٌ سامى قبيلٌ ٤) ويروى : شعبهم ترى ٥) ويروى : لم يصرعوا وكبارها وزازٌ ٦) ويروى : من رحط كنّاز . فنخبها وهديرها ٧) ويروى : وقبة ملك . . . مغيرها ٨) ويروى : نصيرها وبصيرها

الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٥٠) وكان الزبرقان اخت تُدعى خُلَيْدة زوَّجها رجلاً يُدعى هزّالاً كان قتل واحداً من بني عبد القيس في جوار الزبرقان فميَّزه بذلك الخيل وهجا خُلَيْدة . ثمَّ نزل يوماً عندها ضيفاً وهو لم يعرفها فقرَّتهُ واحسنت اليهِ وزوَّدتهُ لمَّا ارتحل فسألها عن اسمها فعرفها وصرخ : وا سوءتاه ثمَّ قال :

ضَلَلْتُ لعمري في خُلَيْدة اذ نأتْ ... سأعتبُ قومي بعدها وأتوبُ
فأشهدُ والمستغفرُ اللهُ انني ... كذبتُ عليها والمجاهُ كَذُوبُ

وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص ٢١٩) انَّ عمرو بن معدي كرب الزُّبَيْدي احد فرسان العرب كان ابن خالة الزبرقان التميميّ . وقال عن الأضبط بن قُرَيْع الشاعر السَّعْدي (ص ٢٢٥) انهُ من رَهْط الزبرقان . وبين الفرزدق والزبرقان قرابة ايضاً وكانت هُنَيْدة عمَّة الفرزدق امرأة الزبرقان فقال الفرزدق يردُّ على جرير (نقائض جرير والفرزدق ص ٧١٣) :

وإنْ تَعْجُ آلَ الزبرقانِ فانما ... هجوتَ اللئامَ الشُّمَّ من كعبِ يذبُلِ
وقد ينبحُ الكلبُ النجومَ ودونها ... فراسخُ تُنضي السيرَ للمتأمِّلِ

وقال دثار بن شيبان النمريّ يمدح بني بهدلة ويخص منهم الزبرقان :

مَنْ يَسْكُ سائلاً عني فإنّي ... انا النَّمريُّ جارُ الزبرقانِ
طريدُ عشيرةٍ وطريدُ حربٍ ... بما اجترحت يدي وجنى لساني
أبيتُ الليلَ ارقبُ كلَّ نجمٍ ... شآمٍ فرَّ في سادٍ يمانِ
كأني اذ حللتُ به طريداً ... حللتُ على السميعِ من أبانِ
الى بيتِ الاكارمِ من مَعَدٍّ ... محلٌّ بيِّنٌ ان ابتغاني
فخلُّوا عنهمُ يا آلَ لأيٍ ... فليس لكمْ سيهم بدانِ
غداةَ سمى لهم عمرو بن عوفٍ ... وذو البُرْدَيْن يَنْعَمُ الساعيانِ
سيدركنا بنو النمر بن بدرٍ ... سراعُ الخيلِ تلتمسُ الطعانِ

وذو البُرْدَيْن المذكور هنا هو عامر بن بَهدلة اخذ بُرْدَيْن عرضهما المنذر بن ماء السماء على اعزّ العرب قبيلةً واكثرهم عدداً فاثَّر بهم الأخيضر وقال : ايُّها الملك انَّ العزَّ والعدد من العرب في معدّ ثمَّ في نزار ثمَّ في مضر ثمَّ في خندف ثمَّ في

تميم ثمّ في سعد ثمّ في كعب ثمّ في عوف ثمّ في بَهْدلة، فلم يَقُمْ اليهِ احد من الناس فقال الزبرقان (طويل) :

وبُرْدا ابنِ ماء المُزْنِ عمّي اكتساهما بعزّ مَعَدّ حين عُدّت محاصِلُهْ
رآهُ كرامُ الناس أولاهمُ بهِ ولم تجدوا في عزّهم مَن يُعادِلُهْ

وللزبرقان شعرٌ متفرّقٌ في كتب الادب فمن ذلك ما ورد لهُ في حماسة البحتري (ع ١٣٠٤) قال يعاتب ابن عمهِ علقمة بن هوذة (من مجزوء الكامل) :

وليَ ابنُ عمٍّ لا يزا لُ يَعيبني ويُعينُ عائبْ (١
وأعينُهُ في النائبا تِ ولا يُعينُ على النوائبْ
تَسري عقاربُهُ اليّ م ولا تَناوَلُهُ عقاربْ (٢
لامِ ابنَ عمّك ما يخا فُ الجازياتِ من العواقبْ(٣

ومما روى لهُ في الوفاء (ع ٧٢٣) قال (من الوافر) :

وفيتُ بذِمّةِ الكِنديّ لمّا تواكَلَها الصحابَةُ والجوارُ
كما أوفيتُ بالعُكليّ ضرباً بفَصْلِ السيف اذ عَلَنَ السِرارُ

وروى لهُ في الامتناع عن مصالحة آل ظلّام لأسرهم احد قومهِ (ع ١٠٨) قال (من البسيط) :

أبَعْدَ بِشْرٍ أسيراً في بيوتِهِم ترجو الهَوادَةَ عندي آلُ ظلّامِ

---

١) روى في ديوان مختارات شراء العرب: ويعيبني وهو تصحيف وفي الاغاني (٣: ٥٢) ويعيب عائب ٢) وروى فيهِ: ولا تنبهُ عقارب. وروى في اللسان وفي التاج (مادة: عقب): ولا تدبُّ لهُ وهما ينسبان البيت لذي الاصبع العدواني ٣) ويروى: ما تخاف. ولا تخاف المُجزيات. وفي الاغاني: لا يخاف المخزيات

فان أصالحهم ما دمتُ ذا فرسٍ واشتدَّ قبضاً على السيلان إبهامي(١
تعدو الذئابُ على من لا كلابَ لهُ وتتَّقي مَربضَ المستنبِرِ الحامي(٢

وروى لهُ بيتاً مفرداً في الاغنة من الظلم (ع ٧٤) قال (من الطويل) :

أغشى المهالكَ بالرجالِ ولا أعطي المقادة سائمي الحُمُرا

وروى لهُ ابو بكر ابن الانباري في الاضداد في انَّ المولى تأتي بمعنى ابن العم (ص ٣٠) قال (من الوافر) :

ومن المَوالي مَوْليان فمنهما مُعطي الجزيلِ وباذلُ النَّصرِ
ومن الموالي ضبُّ جَندلةٍ حِزُ المروءةِ طاهرُ الغمرِ

ومما ذكرهُ لهُ الراغب الاصبهاني في محاضراته (١ : ٣٧٢) قولهُ في من يمنع معروفهُ ويعضّل ظلمهُ (من الطويل) :

طوى كلَّ معروفٍ وأحضرَ دونَهُ عقاربَ أخشى لَسْعَها وأفاعيا

وروى لهُ ياقوت في معجم البلدان في باب أطد (١ : ٣٠٧) وعِتْكان (٣ : ٦١١) حيث حمل صدقاتِ قومهِ الى ابي بكر (من البسيط) :

ساروا الينا بنصفِ الليل فاحتَملوا فلا رَهينَةَ الَّا سيِّدٌ صَمَدُ
سيروا رُوَيْداً فانَّا لن نفوتَكُمُ وانَّ ما بيننا سهلٌ لكم حَدَدُ
انَّ الغزالَ الذي ترجونَ غِرَّتَهُ جمعٌ يَضيقُ بهِ العِتْكانَ اوأَطُدُ(٣

---

١) روى في التاج واللسان (في مادَّة سيل) : ولن اصالحكم . وروى في محاضرة الادباء (٢ : ١٠٢) : واشتدَّ قبضاً على الاسياف إبهامي ٢) وهذا البيت قد رواهُ البعض للنابغة لعلَّ الزبرقان اقتبسهُ منهُ

٣) ويروى : عزَّتَهُ . وقال : أطد ارض بقرب الكوفة نزلها جيش المسلمين في اوَّل ايام الفتح . وعِتْكان موضع آخر وقال الأسود : العتكان وأطدٍ اودية لبني جدلة (قوم الزبرقان)

مستحقباً حَاقَ الماذي بخُفرتهِ (١ ضربٌ طِلَحْفٌ وطعنٌ بينهُ خَضِدُ

وروى ايضاً (٤ : ٦١٩) يخاطب رجلًا من بني عَوْف كان قد هجا ابا جهل وتناوَلَ قريشاً (من الوافر) :

أتدري من هجوتَ ابا حبيبٍ سليل (٢خضارمٍ سكنوا البِطَاحا
أزادَ الرَّكْبِ تذكرُ ام هشاماً وبيتَ الله والبلدَ اللَّقاحا (٣
همُ منعوا الاباطحَ دون فهرٍ ومن بالخَيْف والبُدُنَ المِلقاحا
بضربٍ دون بَيْضتهم طلحفٍ اذا الملهوف لاذَ وصاحا
وما تدري بأيّهمِ تُلاقي صدورَ المَشْرفيّة والرماحا

هذا ما وقفنا عليهِ من شعر الزبرقان. وقد اختلفوا في الحكم عن طبقتهِ. سبق لابن سلّام في طبقاتهِ (ص ٢٥) انهُ دعا الزبرقان « شاعراً مفلقاً » وكذلك قدَّمهُ وَفْدُ تميم لمحمّد كشاعرهم وفي ذلك دليل على حسن رتبتهِ بين الشعراء. وقد حكم غيرهم في انهُ من الشعراء المتوسطين فذكرهُ السيوطي في المزهر (٢ : ٢٤٤) بين المغلّبين لثلُب الحُطيئة وبغيض بن عامر والمخبَّل السعدي وعمرو بن الاهتم (٤ عليهِ في بعض المواقف. وكذلك ورد في الاغاني (٢١ : ١٧٤) لربيعة بن حُذار الاسدي لمّا تحاكم اليهِ علقمة بن عبدة التميمي والزبرقان والمخبَّل وعمرو بن الاهتم انهُ قال للزبرقان : « اما انت يا زبرقان فانَّ شعرك كلَحْم لم يَنْضج فيؤكل ولا تُرك نيئاً فيُنتفعُ بهِ »

(لهُ صلة)

١) وبروى : بخفرتهِ ٢) وبروى : ابا خبيب حليلَ ٣) وهذان البيتان قد رواهما في الاغاني (٢ : ٥٤) لبعض بني انف الناقة مع ما يتلوهما . قالها في الزبرقان اذ منع بئرهُ عن ابناء السبيل وهو يروي : اتدري من منعتَ ورودَ حوضٍ . . . منعتُ ام هشاماً وذا الركبين امنهم سلاحا ٤) وفي ابن الاهتم قال محمّد « انَّ من البيان لسحرًا » وكان سمعهُ يمدح الزبرقان في امور ويذمّهُ في اخرى فأحسن بكليهما (امثال الميداني ١ : ٧)